بَيَانُ الصُّورَةِ الكَامِلَةِ

لقَولِ ابنِ تَيمِيَّةَ: «ونَدِمتُ علَى تَضييعِ أَكثَرَ أَوقَاتي في غَير مَعَاني القُرآنِ»

سُؤَالٌ: انتَشَرَت في بَعض وَسَائل التَّوَاصُل رسَالَةٌ مُفَادُها أنَّ شَيخَ الإِسلام ابنَ تَيميَّةَ نَدمَ آخرَ عُمرِهِ علَى تَضييعِ أَوقَاتِه في غَير مَعَاني القُرآنِ؛ فهَل ثَبَت هَذَا عَنهُ، ومَا المَقصُودُ مِنهُ ؟

كَتَبَهُ
الفَقِيرُ إِلَى سِترِ رَبِّهِ الخَفِيِّ
أَبُو العَبَّاسِ الشَّحري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ لله ربِّ العَالَمِين، والصَّلاةُ، والسَّلامُ عَلى خَاتَم النَّبيِّين، وعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وصَحبِهِ الغُرِّ المَيَامِين، ومَن تَبعَهم بإحسَانٍ إلى يَوم الدِّينِ .

أَمَّا بَعدُ :

فقَد اطَّلعتُ عَلَى هَذهِ الرِّسَالَة المُومَئِ إِلَيها، ويَظهَرُ مِن قَصدِ كَاتبهَا، ونَاشرِهَا الخَيرُ، وحَثُّ المُسلمِينَ عَلَى العنَايَة بكتَاب الله تَعَالى، وهَذَا قَصدٌ نَبيلٌ، وعَمَلٌ جَليلٌ.

إلَّا أَنَّها بهَذَا الإطلَاقِ، والإجمَالِ مَدخَلٌ يَدخُلُ مِنهُ الطَّاعِنُ في **"رُدُودِ شَيخِ الإسلامِ ابنِ تَيميَّةَ"** - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- **عَلَى أَنوَاعِ المُبطِلِينَ**؛ فكَانَ وَاجبًا - عَلَى مَن عَلِمَ **"حَقيقَةَ الحَالِ"**- دَفعُ هَذا التَّوَهُّم الفَاسدِ -لا سيَّما في زَمَانِنَا هَذَا- مَعَ كَثرَةِ أَعدَاءِ هَذَا الإِمَامِ الجَليلِ، وبَغيِهِم عَلَيهِ! -كَشَأنِ أَسلافِهِم الَّذِينَ سَجَنُوهُ ظُلمًا في أَردإِ السُّجُونِ !؛ حَتَّى مَاتَ !-، وهذَا لا يَكُونُ إلَّا ببَيَانِ **"الصُّورَة الكَامِلَةِ"**، وكَشفِ **"حقيقَةِ الحَالِ الَّذي كَانَ عَلَيهِ شَيخُ الإسلامِ"** - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- .

ودُونَكَ أَيُّهَا المُوَفَّقُ الرَّشيدُ - زَادَكَ اللهُ رُشدًا، وبَصِيرَةً، وهِدَايَةً- **سِتَّ وقَفَاتٍ** تَكشفُ لَكَ **"الصُّورَةَ الكَامِلَة"**، وتَضعُ بَينَ نَاظِرَيكَ **"حَقيقَةَ الحَالِ"** - كَمَا هِيَ!- ظَاهِرَةً مَاثِلَةً :

أَبِن وَجهَ نُورِ الحَقِّ في صَدرِ سَامِعٍ ... ودَعهُ! فنُورُ الحَقِّ يَسرِي ويُشرِقُ

سَيُؤنِسُهُ يَوماً ويَنسَى نِفَارَهُ ... كَمَا نَسِيَ التَّوثِيقَ مَن هُوَ مُطلَقُ

❑ ❑ ❑

الوَقفَةُ الأُولَى: [مَصدَرُ هَذِهِ الكَلمَة]

نَاقلُ هَذِه الكَلمَة، - وانفَرَدَ بهَا- هُو : تِلميذُ شَيخِ الإسلام :

الشَّيخُ الكَاتبُ الفَاضِلُ أَبُو عَبدِ الله ابنُ رُشَيِّق (ت٧٤٩)[١] - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- في جُزئِهِ «مُؤلَّفَات شَيخ الإسلَام ابن تَيمِيَّةَ»[٢] بَعدَ أَن طَلَب مَن شَيخِ الإسلام كتَابَة تَفسير للقُرآن مُرتَّبًا عَلى السُّوَر؛ فكَتَب لَهُ مَا مُحَصَّلُهُ :

أَن القُرآنَ مِنهُ مَا هُوَ بيِّنٌ، وقَد أَبَانَهُ المُفسِّرُون، ومِنهُ مَا أَشكَلَ، ولا تَكَادُ تَجِدُ فِيهِ مَا يَشفي؛ فكَتَبتُ ذَلك في كِتَاب مُفرَدٍ ..

---

(١) تَرجَمَهُ الحَافظُ ابنُ كَثيرٍ في «البدَايَةِ والنِّهَايَةِ» (١٤/ ٢٦٤)؛ فَقَالَ: «وفي هَذَا اليَوم [أَي يَوم عرَفَة سَنَةَ ٧٤٩] تُوُفِّيَ الشَّيخُ [أَبُو] عَبدِ الله ابنُ رُشَيِّقٍ المَغرِبِيُّ، كَاتِبُ مُصَنَّفَاتِ شَيخِنَا العَلَّامَةِ ابنِ تَيميَّةَ، كَانَ أَبصَرَ بخَطِّ الشَّيخ مِنهُ !، إذَا عَزَبَ شَيءٌ مِنهُ عَلَى الشَّيخ استَخرَجَهُ أَبُو عَبدِ الله هَذَا، وكَانَ سَرِيعَ الكِتَابَةِ، لَا بَأسَ بِهِ، دَيِّنًا، عَابِدًا، كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، حَسَنَ الصَّلَاةِ، لَهُ عِيَالٌ، وعَلَيهِ دُيُونٌ - رَحِمَهُ اللهُ، وغَفَرَ لَهُ آمِينَ-» انتَهَى .

وقَالَ الذَّهَبيُّ في كتَابهِ «المُشتَبَهُ في الرِّجَال أَسمَائهم وأَنسَابهم» : «و[رُشَيِّقٌ] بالتَّصغِير - قَالَ ابنُ نَاصِرِ الدِّين في كتَابهِ «تَوضِيح المُشتَبهِ» (٤/ ١٩٥): «**قُلتُ**: مَعَ تَشدِيد المُثَنَّاة، وكَسرِهَا- قَالَ الذَّهَبيُّ: رُشَيِّقٌ المصرِيُّ، جَدُّ **صَاحبنَا الفَقِيهِ أَبي عَبدِ الله ابن رُشَيِّق المَالِكِيِّ** لأُمِّهِ» انتَهَى المُرَادُ، وقَالَ الإمَامُ ابنُ عَبدِ الهَادي (ت٧٤٤) في «العُقُودِ الدُّرِّيَّة» (ص٤٣): «**الشَّيخُ أَبُو عَبدِ الله ابنُ رُشَيِّقٍ وكَانَ مِن أَخَصِّ أَصحَاب شَيخِنَا، وأَكثَرهِم كِتَابَةً لكَلَامِهِ، وحِرصًا عَلى جَمعِهِ كُتُبَ الشَّيخ** - رَحِمَهُ اللهُ-» انتَهَى، وفي كتَابي: «**رِسَالَةُ شَيخ الإسلَام ابن تَيمِيَّةَ في إِحصَاءِ الأَسمَاء الحُسنَى الظَّاهِرَةِ في القُرآن الكَرِيم** [دِرَاسَةً، وتَرتيبًا]» زِيَادَةٌ مُهِمَّةٌ - يَسَّرَ اللهُ نَشرَهُ- .

(٢) انظُر: «الجَامِعَ لسِيرَة شَيخ الإسلَام ابن تَيميَّة خِلال سَبعَة قُرون» (ص٢٨٣- ٢٨٤).

ثُمَّ قَالَ: وقَالَ: "قَد فَتحَ اللهُ عَليَّ فِي هَذَا الحِصنِ فِي هَذِهِ المُدَّةِ مِن "مَعَانِي القُرآنِ"، ومِن "أُصُولِ العِلم" بأَشيَاءَ كَانَ كَثيرٌ مِن العُلَمَاءِ يَتَمَنَّونَهَا، ونَدِمتُ عَلَى تَضييعِ أَكثَرَ أَوقَاتِي فِي غَيرِ مَعَانِي القُرآنِ"، أَو نَحوِ هَذَا»[1] .

❑ ❑ ❑

الوَقفَةُ الثَّانِيَةُ: [هَل نَدِمَ عَلَى جِهَادِهِ فِي اللهِ تَعَالَى ؟]

قَولُهُ: «ونَدِمتُ عَلَى تَضييعِ أَكثَرَ أَوقَاتِي فِي غَيرِ مَعَانِي القُرآنِ»، أَو نَحوِ هَذَا .

لا يَعني - بِحَالٍ- أَنَّهُ نَادِمٌ عَلَى مَا قَامَ بِهِ طِيلَةَ عُمرِهِ مِن حِمَايَةِ "بَيضَةِ الإِسلَام" من غَوائِلِ المَذَاهِبِ الهَدَّامَةِ لَهُ، و"صِيَانَةِ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ" مِن الضَّلَالاتِ، والأَهوَاءِ، و"تَزيِيفِ البَاطِلِ"، و"الانتِصَارِ للحَقِّ" .

ومَا أَمضَى فِيهِ عُمُرَهُ مِن "إِقَامَةِ أَدِلَّةِ الحَقِّ"، و"كَشفِ شُبُهَاتِ البَاطِلِ" ! .

كَيفَ وهُوَ الَّذِي يَرَى أَنَّ هَذَا مِن "أَعظَمِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى"، ومِن "آكَدِ الوَاجِبَاتِ العَينِيَّةِ !" عَلَى مَن يَقدِرُ عَلَى ذَلِكَ مِن أَهلِ العِلمِ، والتَّحقِيقِ .

قَالَ فِي جَوَابٍ كَتَبَهُ لِتلمِيذِهِ العَلَّامَةِ عَلَيٍّ البَزَّارِ (ت٧٤٩) جَوَابًا عَن سِرِّ عِنَايَتِهِ بالرَّدِّ عَلَى أَهلِ البِدَعِ، وأَنَّهُم يَهدِمُونَ دِينَ الإِسلامِ، مِنهُم القَاصِدُ وهُم أَصحَابُ البِدَعِ الغَلِيظَةِ، وأَدنَاهُم مَن يُوصِلُ أَتبَاعَهُ إِلَى ذَلِكَ، إِلَى أَن قَالَ :

«فَلَمَّا رَأَيتُ الأَمرَ عَلَى ذَلِكَ بَانَ لِي : أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَن يَقدِرُ عَلَى دَفعِ شُبَهِهِم، وأَبَاطِيلِهِم، وقَطعِ حُجَّتِهِم، وأَضَالِيلِهِم : أَن يَبذُلَ جُهدَهُ؛ لِيَكشِفَ رَذَائِلَهُم، ويُزَيِّفَ دَلَائِلَهُم؛ ذَبًّا عَنِ المِلَّةِ الحَنِيفِيَّةِ، والسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ الجَلِيَّةِ»انتهى[2] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّيَّة» (ص٤٣-٤٤)، و«ذَيلَ طَبَقَاتِ الحَنَابِلَة» (٤/ ٥١٩) .

(٢) انظُر: «الأَعلَامَ العَلِيَّةَ فِي مَنَاقِبِ ابنِ تَيمِيَّة» (ص٣٣-٣٥) .

الوَقفَةُ الثَّالثَةُ: [مَعنَى هَذِهِ الكَلمَة]

وإِنَّمَا مَعنى هَذِهِ الكَلِمَةِ :

أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَد أَكرَمَهُ فِي الدُّنيَا، وجَازَاهُ عَلَى "**جِهَادِهِ فِي اللهِ تَعَالى**"، وصَبرِهِ عَلَى مَا نَالَهُ مِن "**مِحَنٍ**" فِي سَبيلِ الله تعالى بـ"**مِنَحٍ**" جَزيلَةٍ، و"**عَطَايَا**" نَبيلَةٍ، و"**كَرَامَاتٍ**" جَليلَةٍ .

مِصدَاقًا لقَولِهِ جَلَّ وعَلَا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت]، وقَولِهِ تَبَارَك وتَعَالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ [الرحمن] .

وهَذِهِ الكَرَامَةُ الَّتي هِيَ: "**فَهمُ مَعَانِي القُرآنِ**"، مِن عَظِيمِ المِنَحِ الإِلَهيَّةِ، والعَطَايَا الرَّبَّانيَّةِ .

❑ ❑ ❑

فَقَد جَاءَ فِي «صَحيحِ البُخَارِيِّ» (٣٠٤٧) عَن أَبِي جُحَيفَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ- قَالَ: قُلتُ لِعَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ- :

«**هَل عِندَكُم شَيءٌ مِنَ الوَحيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللهِ ؟**» .

قَالَ: «**لَا والَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعلَمُهُ إِلَّا فَهمًا يُعطِيهِ اللهُ رَجُلًا فِي القُرآنِ، ومَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ**» .

قُلتُ: **ومَا فِي الصَّحِيفَةِ ؟** .

قَالَ: «**العَقلُ، وفَكَاكُ الأَسِيرِ، وأَن لَا يُقتَلَ مُسلِمٌ بِكَافِرٍ**» .

❑ ❑ ❑

الوَقفَةُ الرَّابعَةُ:

[أَكثَرُ رُدُودِهِ كَتبَهَا فِي سِجنِهِ؛ حَتَّى مَنَعَهُ خُصُومُهُ الحِبرَ، والأورَاقَ؛ فَكَتَبَ بالفَحمِ !!، وكَانَ يَعُدُّ هَذِهِ الرُّدُودَ مِن أَعظَمِ النِّعَمِ]

ولِـهَذَا كَانَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى - يَقُولُ فِي حَبسِهِ فِي القَلعَةِ كَمَا سَبَقَ: «**لَو بَذَلتُ مِلءَ هَذِهِ القَلعَةِ ذَهَبًا مَا عَدَلَ عِندِي شُكرَ هَذِهِ النِّعمَةِ**»، أَو قَالَ: «**مَا جَزَيتُهُم عَلَى مَا تَسَبَّبُوا فِيهِ مِن الخَيرِ**»، ونَحو هَذَا .

وكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ، وهُوَ مَحبُوسٌ: «**اللهُمَّ أَعنِّي عَلَى ذِكرِكَ، وشُكرِكَ، وحُسنِ عِبَادَتِكَ**»، مَا شَاءَ اللهُ ! .

ولا زَالَ مُنَافِحًا عَن دِينِ الإِسلامِ، نَاصِرًا لِلسُّنَّةِ، قَامِعًا لِلبِدعَةِ مُجَاهِدًا فِي سَبيلِ اللهِ تَعَالَى إِلَى آخِرِ نَفَسٍ فِي حَيَاتِهِ .

ولا زَالَ وهُوَ فِي مَحبَسِهِ «**يَكتُبُ الرُّدُودَ الفَاصِلَةَ**»، و«**يَنقُضُ الشُّبُهَاتِ البَاطِلَةَ**»، و«**يُحَرِّرُ الأَجوبَةَ الكَامِلَةَ**»؛ حَتَّى ضَاقَ ذَرعُ خُصُومِهِ؛ فَمَنَعُوا عَنهُ "**الأَقلامَ**"، و"**الدَّوَاةَ**"، و"**الأَورَاقَ**"، و"**الكُتُبَ**"؛ فَكَانَ يَكتُبُ بالفَحمِ عَلَى الجُدرَانِ، والأَورَاقِ !! .

❑ ❑ ❑

قَالَ الحَافِظُ الإِمَامُ ابنُ عَبدِ الهَادِي (ت٧٤٤) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

«ولَا أَعلَمُ أَحَدًا مِن المُتَقَدِّمِينَ، ولا مِن المُتَأَخِّرِينَ :

جَمَعَ مِثلَ مَا جَمَعَ، ولا صَنَّفَ نَحوَ مَا صَنَّفَ، ولا قَرِيبًا مِن ذَلكَ !.

مَعَ أَنَّ تَصَانِيفَهُ كَانَ يَكتُبُهَا مِن حِفظِهِ، وكَتَبَ كَثِيرًا مِنهَا فِي الحَبسِ[(١)]، ولَيسَ

---

(١) تَأَمَّل هَذَا ! .

عِندَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيهِ، ويُرَاجِعُهُ مِن الكُتُبِ» انتَهَى[1] .

وعَامَّةُ مَا صَنَّفَهُ إِنَّمَا صَنَّفَهُ لـ **"حَاجَةٍ"** في زَمَانِهِ دَعَت إِلَى تَصنِيفِهِ، وغَالِبُهَا **"انتِصَارٌ للحَقِّ"** في قَضَايَا جَلِيلَةٍ كَسَبِّ الرَّسُولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ- أَو رُدُودٌ عَلَى **"مِلَلٍ"**، و**"نِحَلٍ"**، و**"فِرَقٍ"**، و**"طَوَائفَ"**، و**"أَعيَانٍ"**، وشُرُوحُهُ عَلَى مُتُونِ العِلمِ نَادِرَةٌ جِدًّا، ككِتَابِهِ الَّذِي كَتَبَهُ في أَوَّلِ عُمرِهِ - ولَم يُتِمَّهُ- «**شَرحُ العُمدَةِ**»، واللهُ أَعلَمُ .

وقَالَ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ (ت٧٤٨) :

«**قُلتُ: قَد سُجِنَ غَيرَ مَرَّةٍ؛ لِيَفتُرَ عَن خُصُومِهِ !، ويَقصُرَ عَن بَسطِ لِسَانِهِ، وقَلَمِهِ، وهُوَ لا يَرجِعُ**[2] **!، ولا يَلوِي عَلَى نَاصِحٍ، إِلَى أَن تُوُفِّيَ مُعتَقَلًا** بقَلعَةِ دِمَشقَ في العِشرِين مِن ذِي القَعدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وعِشرِينَ وسَبعمَائةٍ، وشَيَّعَهُ أُمَمٌ لا يُحصَونَ إِلَى مَقَابِر الصُّوفيَّةِ، غفَرَ اللهُ لَهُ، ورَحِمَهُ آمِين» انتَهَى[3] .

وقَالَ تِلمِيذُهُ البَارُّ العَلَّامةُ عُمَرُ بنُ عَلِيٍّ البَزَّارُ البَغدَادِيُّ (ت٧٤٩) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وَاصِفًا وَفَاةَ شَيخِهِ عَمَّن شَهِدَهَا :

«ثُمَّ إِنَّ الشَّيخَ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ- بَقِيَ إلى لَيلَةِ الاثنَينِ العِشرينَ مِن ذِي القَعدَةِ الحَرَام، وتُوفِّي إلى رَحمَةِ اللهِ تَعَالَى، ورِضوَانِهِ- في بُكرَةِ ذَلكَ اليَوم، وذَلِكَ مِن سنَةِ ثَمَانٍ وعِشرِينَ، وسبع مِئةٍ .

---

(١) انظُر: «طَبَقَاتِ عُلَماءِ الحَدِيثِ» (٤/ ٢٩٠) .

(٢) تَأَمَّل هَذَا .

(٣) انظُر: «المُعجَمَ المُختَصَّ بالمُحدِّثين» (ص٢٦)

وهُوَ علَى حَالِهِ مُجَاهِدًا في ذَات الله تَعَالَى[(١)]، صَابِرًا، مُحتَسبًا، لَـم يَجْبُن، ولَـم يَهلَع، ولَـم يَضعُف، ولَـم يَتَتَعتَع![(٢)].

بَل كَانَ - رَضيَ اللهُ عَنهُ- إلى حِينِ وَفَاتِهِ مُشتَغلًا بِالله عَن جَمِيع مَا سِوَاهُ[(٣)]» انتَهى[(٤)].

❑ ❑ ❑

(١) تَأَمَّل هَذَا .

(٢) تَأَمَّل هَذَا .

(٣) مَا أَعظَمَ هَذِهِ الكَلمَة، وهِيَ تُلَخِّصُ لَكَ حَالَ ابنِ تَيميَّةَ الَّذي جَعَلَ حَيَاتَهُ، وغَضَبَهُ، ورضَاهُ في الله، وبالله، ولله تَعَالى، وتَقَدَّس، واللهُ حَسيبُهُ .

وهَذِهِ "مَنزلَةُ القُرب مِن الله تَعَالى" الَّتي تَتَضَمَّنُ المَحَبَّةَ الخَالصَة، والتَّعظيمَ الصَّادقَ؛ وهُوَ فَنَاءٌ في المُرَادِ، قَالَ ابنُ القَيِّم في «مَدَارج السَّالكِين» (١/ ٤٦٦): «.. يَشغَلُهُ قُربُ الحَقِّ عَن كُلِّ مَا سِوَاهُ، وهَذَا حَقِيقَةُ القُربِ، أَلَا تَرى أَنَّ القَرِيبَ مِنَ السُّلطَانِ جِدًّا، المُقبِلَ عَلَيهِ، المُكَلِّمَ لَهُ، لا يَشتَغِلُ بِشَيءٍ البَتَّة؟؛ فَعَلَى قَدرِ القُربِ مِنَ الله يَكُونُ اشتِغَالُ العَبدِ بِهِ، والله أَعلَم» انتَهَى .

(٤) انظُر: «الأَعلَامَ العَليَّة في مَناقب ابن تَيميَّة» (ص٨٢) .

الوَقفَةُ الخَامسَةُ : [مَاذَا كَتَبَ ابنُ تَيميَّةَ قَبلَ وَفَاتِهِ ؟]

قَالَ الحَافِظُ الإِمَامُ ابنُ عَبدِ الهَادي (ت٧٤٤) وَاصِفًا **"وَفَاةَ الشَّيخِ رَحمَهُ اللهُ بالقَلعَةِ، ومَا كَتَبَ بهَا قَبلَ موتِهِ"** مَا حَرفُهُ :

«ثُمَّ إن الشَّيخَ - رَحمَهُ اللهُ تَعَالَى - بَقِيَ مُقِيمًا بالقَلعَةِ سَنَتَينِ، وثَلاثَةَ أَشهُرٍ، وأَيَّامًا، ثُمَّ تُوُفِّيَ إلَى رَحمَةِ الله ورِضوَانِهِ-، **ومَا بَرِحَ في هَذِهِ المُدَّةِ مُكبًّا علَى "العِبَادَةِ"، و"التِّلَاوَةِ"، و"تَصنِيفِ الكُتُبِ"، و"الرَّدِّ علَى المُخَالفِينَ"**[١] .

وكَتَبَ علَى **"تَفسِيرِ القُرآنِ العَظِيم"** جُملَةً كَثِيرَةً تَشتَمِلُ نَفَائسَ جَليلَةً، ونُكَتًا دَقِيقَةً، ومَعَانٍ لَطِيفَةً، وبَيَّنَ في ذَلِكَ مَوَاضِعَ كَثِيرَةً **"أَشكَلَت علَى خَلقٍ مِن عُلَمَاءِ أَهلِ التَّفسِيرِ"** .

وكَتَبَ في المَسأَلَةِ الَّتِي حُبِسَ بِسَبَبِهَا عِدَّةَ مُجَلَّدَاتٍ مِنهَا كِتَابٌ في "الرَّدِّ علَى ابنِ الأَخنَائيِّ" قَاضِي المَالِكِيَّةِ بِمِصرَ تُعرَفُ بِـ"الأَخنَائيَّةِ"[٢] .

ومِنهَا: كِتَابٌ كَبِيرٌ حَافِلٌ في "الرَّدِّ علَى بَعضِ قُضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ"[٣] ، **وأَشيَاءَ كَثِيرَةً في هَذَا المَعنَى**[٤] - أَيضًا-» انتَهَى[٥] .

---

(١) تَأَمَّل هَذَا .

(٢) تَأَمَّل هَذَا ! .

(٣) تَأَمَّل هَذَا ! .

(٤) تَأَمَّل هَذَا ! .

(٥) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّيَة» (ص٣٧٧) .

وقَالَ المُؤرِّخُ المِقريزيُّ (ت٨٤٥) في كتَابِهِ «المُقَفَّى الكَبِير» (١/ ٤٦٨): «وكَتَبَ بخطِّه مِن التَّصَانيفِ، والتَّعَاليقِ المُفِيدَةِ، والفتَاوَى المُشبَعَةِ في الأُصُولِ، والفُرُوعِ، والحَدِيثِ، و**"رَدِّ البِدَعِ بالكِتَابِ، والسُّنَّةِ"، شَيئًا كَثِيرًا يَبلُغُ عِدَّةَ أَحمَالٍ**» انتهَى . =

وهَذَا "**الوَصفُ الدَّقيقُ**" كَافٍ في "**بَيَانِ جِهَادِ هَذَا الإِمَامِ العَظيمِ**"، وأَنَّهُ لَـم يَندَم عَلَيهِ، أَو رَجعَ عَنهُ، بَل لازَال "**رَاكبًا فَرَسَهُ في سَبيلِ الله تَعَالى**"، "**لاَبسًا لأَمةَ الحَربِ**"، "**مُقبلًا غَيرَ مُدبرٍ**"، "**مَاضيًا فِيهِ**" إِلَى آخرِ حَيَاتِهِ - رَحِمَهُ اللهُ، ورَضِيَ عَنهُ، وأَسكَنَهُ الفِردَوسَ الأَعلَى - .

❑ ❑ ❑

جَمَعَ د. عَبدُ السَّلاَم بنُ إبرَاهيم الحُصَيِّن رسَالَةً عَنونَهَا بـ«**قَائمَةٌ بمُؤلَّفَات شَيخ الإسلاَم المَطبُوعَة**» وصَلَ فيهَا إِلَى (٢٩٨) مُصَنَّفًا مَطبُوعًا، وأَمَّا باعتبَار مَا نُسِبَ إِلَى شَيخِ الإِسلاَمِ ابنِ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- مِن العَنَاوينِ في مَصَادِرِ تَرجَمَتِهِ، وغَيرهَا، سَوَاءً كَانَ مَطبُوعًا، أَو مَخطُوطًا، أَو مَفقُودًا؛ فَلَعَلَّ أَوسَعَ مَن جَمَعَهَا مُحَقِّقَا كتَاب «الصَّارمِ المَسلُول» (مُحَمَّد عبد الله الحلوانيُّ، ومُحَمَّد كَبير أحمد شُورَدي) في أَوَّل التَّحقيقِ (١/ ٧٠-١٥٢/ ط: دَار ابن حَزم/ ١٤١٧) في دِرَاسَةٍ جَمَعَا فيهَا أَكثَرَ مِن سَبعمِائةِ (٧٠٠) عُنوَانٍ، وانظُر: مُقَدِّمَة «**قَائمَةٌ بمُؤلَّفَات شَيخ الإسلاَم المَطبُوعَة**»، واللهُ أَعلَمُ .

الوَقفَةُ السَّادسَةُ:

[ابنُ تَيميَّةَ يَعُدُّ سِجنَهُ مِن أَعظَم النِّعَم؛ لأَنَّ اللهَ تَعالى فَتَحَ لَهُ فِيهِ في الرَّدِّ عَلَى أَبَاطِيلِ المُخَالِفِينَ للسُّنَّةِ مَا قَد لا يَتَهَيَّؤُ لَهُ مِثلُهُ بدُونِ هَذا السِّجنِ !!]

هَذَا الَّذي ذَكَرتُهُ لَكَ - أَيُّهَا المُوَفَّقُ الرَّشيدُ-، قَد بَيَّنَهُ شَيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيميَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- بَيَانًا في غَايَةِ الوُضُوحِ، والإِفَادَةِ في رِسَالَةٍ فَرِيدَةٍ:

كَتَبَهَا مِن "مَحبَسِهِ بالقَلعَةِ" قَبلَ وَفَاتِهِ بيَسيرٍ إلى قَاضي قُضَاةِ الحَنَابلَة بِدِمَشقَ العَلَّامَةِ الزَّاهِدِ عِزِّ الدِّين مُحَمَّدِ بنِ سُلَيمَانَ ابنِ حَمزَةَ ابنِ قُدَامَةَ (ت٧٣١) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-، وفيهَا:

«إِنَّا وللهِ الحَمدُ في "نِعَمٍ عَظِيمَةٍ"، و"مِنَنٍ جَسِيمَةٍ"، لا يُحصِيهَا إِلَّا اللهُ !.

وهَذِهِ القَضِيَّةُ[١] كَانَت مِن أَعظَم نِعَمِ اللهِ عَلَينَا، وعَلَى سَائِر المُسلِمِينَ، ولله فِيهَا "حِكمَةٌ بَالِغَةٌ"، و"رَحمَةٌ سَابغَةٌ" !.

فَإِنَّ السُّلطَانَ[٢] أَرَادَ أَن يَسعَى في قَطعِ "أُصُولِ الإِسلامِ"، و"التَّوحِيدِ"، و"عِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ"، و"مَا بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ"؛ فمَنَّ اللهُ في ذَلِكَ بمِنَنٍ لا يُقدَرُ قَدرُهَا.

---

(١) وهِيَ حَبسُهُ بسَبَب فَتوَى الزِّيَارَةِ مِن سَنَة ٧٢٦ إلى وَفَاتِهِ سَنَةَ ٢٠/ ١١/ ٧٢٨هـ.

(٢) يَعني النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بنَ قَلاوونَ الصَّالحيَّ (ت٧٤١)، وقَد أَثنى عَلَيهِ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ، وكَانَ بَينَهُمَا وُدٌّ صَادقٌ، كَمَا سَبَقَ في الفَصل الأَوَّل، ثُمَّ أَكثَرَ عَلَيهِ خُصُوم الشَّيخ في مَسأَلَة الزِّيَارَة؛ فأَمَرَ بسَجنِهِ، ثُمَّ أَرَادَ إِخرَاجَهُ مِن السِّجن؛ فاعتَرَضَ القَاضي عَلاءُ الدِّين القُونَويُّ الحَنفيُّ (ت٧٢٩)، وقَد سَبَقَ تَفصيلُ ذَلكَ كُلِّهِ، ومَعَ هَذَا فَقَد كَانَ ابنُ تيميَّةَ كَثير الدُّعَاءِ لَهُ، عَظِيمَ الثَّنَاء عَلَيهِ؛ حَتَّى إِنَّهُ قَبلَ وَفَاتِهِ بيَسيرٍ جِدًّا - في مَرَضِهِ الَّذي مَاتَ فِيهِ- كَانَ يَقُولُ: **«إِنِّي قَد أَحلَلتُ السُّلطَانَ المَلِكَ النَّاصِرَ مِن حَبسِهِ إِيَّايَ؛ لكَونِهِ فَعَلَ ذَلكَ مُقَلِّدًا غَيرَهُ مَعذُورًا، ولَم يَفعَلهُ لِحَظِّ نَفسِهِ، بَل لِمَا بلَغَهُ مِمَّا ظَنَّهُ حَقًّا مِن مُبَلِّغِهِ، واللهُ يَعلَمُ أَنَّهُ بِخِلَافِهِ،** =

وقَد كَتَبَ الخَادِمُ[(١)] في ذَلكَ أُمُورًا كَثيرَةً .

وما كُنتُ أَرجُو أَن يَتَهَيَّأَ مِثلُهَا بدُونِ هَذِهِ القَضِيَّة !» انتهَى .

فَبَيَّنَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى - أَنَّ اللهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - جَعَلَ هَذَا "الحَبسَ الظَّالِمَ" ! سَبَبًا في "فَتحٍ مُبِينٍ"، و"نُورٍ سَاطِعٍ" في كَشفِ شُبُهَاتِ المُبطِلِينَ، والانتصَار للحَقِّ المُبِينِ بحُجَجٍ لَم يُسبَق إِلَيهَا - رَحِمَهُ اللهُ - في تَصَانيفَ كَثيرَةٍ جِدًّا[(٢)] هِيَ قُرَّةُ العُيُونِ، وبَرَدُ القُلُوب، ونُورُ البَصَائِر، يَقُولُ في ذَلكَ :

«ومَا كُنتُ أَرجُو أَن يَتَهَيَّأَ مِثلُهَا بدُونِ هَذِهِ القَضِيَّة ! .

ثُمَّ قَالَ بَعدَ ذَلكَ :

«وكَثيرٌ مِن ذَلكَ عِندَ الشَّيخ أَبي عَبدِ اللهِ[(٣)]، وبَعضُهُ عِندَ عَبدِ اللهِ الإسكَندَرانيِّ[(٤)] ؛ فأَيُّهَا طَلَبتَ هذَا، أَو هَذَا؛ فَهُوَ بِوَقفِ خِدمَتِكَ .

وقَد أَحلَلتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِـمَّا كَانَ بَيني وبَينَهُ إِلَّا مَن كَانَ عَدُوًّا لله، ورَسُولِهِ» انتهَى مِن «الأَعلَامِ العَلِيَّة في مناقب ابن تَيميَّة» (ص٨٢).

(١) يَعني نَفسَهُ !، وهِيَ مِن العِبَارَات المُنتَشِرَةِ في عَصرِه .

(٢) تقَدَّمَ أَنَّ الحَافظَ البِرزَاليَّ قَالَ: «وكَانَت نَحوَ سِتِّينَ مُجَلَّدًا، وأَربعَ عَشرَةَ رَبطَةَ كَرَاريسَ» وانظُر: «البِدَايَةَ والنِّهَايَةَ» (١٤/ ١٥٥).

(٣) وهُوَ ابنُ رُشَيِّقٍ أَعلَم النَّاس بكُتُب شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ، ومَضَانِّهَا، وخُطُوطِهَا، وقَد سَبَقَت تَرجَمَتُهُ .

(٤) تَرجَمَهُ الحَافظُ الذَّهَبيُّ في «المُعجَم المُختَصِّ بالمُحَدِّثينَ» (ص١٣٢)؛ فَقَالَ: «عَبدُ الله ابنُ يَعقُوبَ بن سَيِّدِهِم، الشَّيخُ المُحَدِّثُ العَالِمُ أَبُو مُحَمَّدٍ، سَمِعَ مِن ابن مُشرِفٍ، والمَوَازِينيِّ، وطَبَقَتِهِمَا، وقَرَأَ الكَثِيرَ وبَالَغَ، ونَسَخَ، وحَصَّلَ عَلَى ضَعفٍ في خَطِّهِ، ولَفظِهِ، ووَعظِهِ، وفي الجُملَةِ عَلَى جَنَانِهِ بَقِيَّةُ مُرُوءَةٍ، وكَيسٍ، وعَلَى ذِهنِهِ فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ، وحِكَايَاتٌ، أُوذِيَ مِن أَجلِ ابنِ تَيمِيَةَ، وقُطِعَ رِزقُهُ، وبَالَغُوا في التَّحرِيزِ عَلَيهِ، ثُمَّ انصَلَحَ حَالُهُ» انتهَى المُرادُ، وتَرجَمَهُ ابنُ نَاصر الدِّينِ، =

عَلَى مَا فِي ذَلكَ مِن فَضل الله، ورَحمتِهِ، ولَو أَنفَقتُ مِلءَ القَلعَةِ ذَهَبًا شُكرًا على هَذِهِ "النِّعمَةِ" كُنتُ مُقَصِّرًا فِي ذَلكَ !» .

إلى أَن قَالَ فِي خَاتمَة الرِّسَالَة فِي مَحبَسِهِ الأَخيرِ !، وتَأَمَّل :

«وأَنَا - ولله الحَمدُ - لَستُ فِي شِدَّةٍ !، ولا ضِيقٍ أَصلًا !!، بَل فِي جِهَادٍ فِي "دِينِ الله"، و"سَبيلِهِ"، و"نَصرِ دِينِهِ"، مِثلَ مَا كُنتُ أَخرُجُ إِلَى قَازَانَ، وأَغزُو الجَبَلِيَّة.

و"الجِهَادُ" لا بُدَّ فِيهِ مِن "اجتِهَادٍ"، ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت]، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ۝٢٨﴾ [الفتح].

وتَفَاصِيلُ الأُمُورِ المُبَشِّرَة الَّتِي يَسَّرَ بِهَا [وَحدَهُ]، وتُسَرُّ بِهَا قُلُوبُ الجَمَاعَة - رَضِيَ اللهُ عَنهُم -، كَثِيرَةٌ لا تَتَّسعُ لَهَا هَذِهِ الوَرَقَةُ لتَفصِيلهَا .

والسَّلامُ عَلَيكُم، ورَحمَةُ الله، وبَرَكَاتُهُ .

والحَمدُ لله وَحدَهُ، وصَلَّى اللهُ علَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وآلِهِ، وسَلَّمَ تَسلِيمًا» انتَهَى المُرَادُ[1] .

فَتَدَبَّر هَذِهِ الرِّسَالَة الَّتِي تُدمِي القُلُوبَ، وتُبكِي العُيُونَ - رَعَاكَ اللهُ، ووفَّقَكَ -، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، وحَسبُنَا اللهُ ونِعمَ الوَكِيلُ .



وأَثنَى عَلَيهِ فِي «الرَّدِّ الوَافِر» (ص١٨٤)، وانظُر: «الدُّرَرَ الكَامنَة في أَعيَانِ المائة الثَّامنَة» (٣/ ٩٢) .

(١) انظُر: «جَامِعَ المسَائل لابنِ تَيميَّة» المَجمُوعَةَ التَّاسعَةَ (ص ٢٤٩-٢٥٨/ عَالَم الفَوائد) .

هَذَا مَا تَيَسَّـرَ[١]، واللهُ أَعلَمُ، وصلَّى اللهُ، وسلَّمَ عَلَى نبيِّنَا مُحمدٍ، وعَلى آلهِ، وصَحبهِ، وسَلَّمَ.

❑ ❑ ❑

---

(١) أَصلُ الجَوَاب مَأخُوذٌ مِن كتَابي: «لِـمَ كَانَ شَيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيميَّةَ شَديدَ العِنَايَة بالرَّدِّ عَلَى المُخَالفينَ»/ الفَصْلُ السَّابِعُ: [انزِعَاجُ المُتَعَصِّبَة مِن رُدُودِ ابنِ تَيمِيَّةَ المُفحِمَةِ، وتَمَنِّيهِم لَو يَنصَرفُ عَنهَا إِلَى أَيِّ بَابٍ آخرَ مِن أَبوَاب العِلمِ!] - يَسَّرَ اللهُ طَبعَهُ-.